

إيفا سالييس (1964.....Eva Sallis)

## تكتب الهامش، وتشاكس نمطية العربي في العقل الغربي

في معظم أعمالها، المتخيل منها والاكاديمي، تبدو إيفا سالييس عليمه باحوال العرب والمسلمين متحسسة لمعاناتهم كأقلية يقع عليها الكثير من التمييز العنصري وفهم مشوه لثقافتهم وتعاليم دينهم، فتقف موضحة حيناً متعاطفة حيناً آخر، طارحة الحلول في ثالثة. وهي في عملها هذا، المتخيل منه على وجه الخصوص، لا تدين ولا تتهم بل تترك لشخصياتها رسم الادوار ولقارنها استشفاف الحقيقة التي هي بصدها

.....

مولودة في بنديغو (ملبورن - استراليا) عام 1964 لأم نيوزيلاندية وأب ألماني ولد وعاش في فلسطين وهاجر الى استراليا إبان نكبة 48. عاشت سالييس سنتين من عمر طفولتها في ألمانيا ورجعت الى استراليا في أوائل السبعينات واستقرت في أدليد. درست الادب الانكليزي في جامعتها، فرفتها دراستها بمخزون معرفي أسهم في بلورة شخصيتها. تقول في ذلك: √ لقد وجدت نفسي عندما قرأت ت. أس. إليوت وشوسر √.

أثناء وجودها في الجامعة حصل أن استعارت جامعة أدليد برنامج تعلم اللغة العربية من جامعة سدني وقدمته لطلابها فكان ان انتسبت سالييس لهذا البرنامج وكان ذلك مقدمة لشغفها باللغة العربية ومن ثم سعت الى تعميق معرفتها بها فقامت برحلات منتظمة الى الدول العربية خصوصاً لبنان واليمن √1∇. ثم كان ان اختارت مؤلف √ ألف ليلة وليلة √ مادة بحثها لنيل شهادة دكتوراه. عن عملها هذا تقول: √ . . . قرأت النص كما هو، جلست وفي يدي النسخة العربية وسألت نفسي ماذا تقول هذه الكلمات؟ حاولت أن أعزل نفسي عن كل ما يدور خارج النص وكان هذا تمريناً رائعاً لأنني حينئذ استطعت رؤية بعض الامور التي تناستها النسخ الاوروبية كفكرة أن المهم في شهرزاد ليس جمالها أو إغوائها للملك .... بل فكرة رغبة السرد التي هي أكثر أهمية من رغبة الانتقام والجنس √2∇.

أثناء عملها على دراستها الاكاديمية كتبت سالييس أولى رواياتها، √ هيام √، وحازت عنها بالجائزتين الأدبيتين: √ فوغل √ و √ نيتا ماي دوبي √ (1997)، كما رشحت لجائزة كورير مايل عام 1999 ولجائزة المتخيل الوطني الادبي عام 2000. بعد ان نالت سالييس شهادة الدكتوراه عملت في التعليم الجامعي لمدة سنتين ثم ما لبثت أن استقالت وتفرغت للكتابة الابداعية. لها حتى حينه اربع روايات ودراسة أدبية بعنوان: √ شهرزاد في المرأة √ تحلل فيه تحولات هذا النص وتطرح رؤى غفت عنها الدراسات الغربية: √ كتاب إيفا سالييس معالجة منهجية لهذه الاسئلة [الاصالة، الرمزية، مصداقية الترجمة] تلجأ فيه الى نظريات القراءة الحديثة ونقد ادوار سعيد للاستشراق فتدرس الف ليلة وليلة كنص يعيش على تقاطع ثقافي. . . مقارنة سالييس نصية، بمعنى أنها تبقى على مسافة قريبة جداً من النص بدل ان تبني تفسيرات تبدأ بالنص وتنتهي غير أبهة بمدى تأييد النص لها √3∇. ولها ايضا عدد من القصص القصيرة والقصائد ومقالات أدبية أكاديمية وقرارات نقدية.

على الصعيد الاجتماعي تنشط سالييس في ميدان حقوق الانسان. ومن نشاطاتها أنشاء جمعية √ استراليون ضد العنصرية √ التي تسعى، عن طريق الاعلام والفن، إلى إلقاء الضوء على قضية طالبي اللجوء وتعريف الرأي العام الاسترالي بمعاناتهم والاضاع المهينة التي يعيشونها في معسكرات الاعتقال التي أنشأتها السلطات الاسترالية لاحتجازهم الى حين البث في امرهم. وهي أيضاً صاحبة البرنامج التلفزيوني √ وجوه في الزحمة √ الذي عرض عام 2001 بمناسبة يوم حقوق الانسان والذي أثار جدلاً واسعاً في حينه. كما ان لها فضل الإنشاء والإشراف على المسابقة المدرسية التي حملت لقب √ استراليا هي اللاجئين √ عام 2002 وصدر عنها انطولوجيا √ الاحلام المظلمة √ وهي مجموعة قصصية مؤلفة من 37 قصة كتبها طلاب عن تجارب عرفوها وتمثلوها لطالبي اللجوء Wakefield 2004. مؤلفاتها: حريق حريق Fire Fire Allen&Unwin 2004 مدينة أسود البحر Mahjar Allen&Unwin 2003 The City of Sealions Allen&Unwin مهجر Sheherazade Through the Looking Glass: The Metamorphosis of the 1001 Nights. Studies in Arabic Literature Series. Curzon, 1999 و √ هيام √ Hiam Allen & Unwin, 1998 √5∇

لو قدر لرواية هيام قارئ متسرع أو عنصري لرأى فيها إداة للجالية العربية والمسلمة في هذا البلد، هذا على الأقل ما رأته إحدى الكاتبات التي قدمت للرواية في مجلة البيولتن ٧٧٧. لقد خصصت الكاتبة المذكورة قسماً كبيراً من مقالاتها للحديث عن عنصرية الاقلية المسلمة متجاهلة كثيراً من النواحي الاكثر أهمية كصمود هيام ونجاحها في تخطي ازمته النفسية وأفكار الاستراليين المسبقة عن العرب والاحباط الذي تولده الغربية ومأساة مسعود المهندس الذي يعمل كسائق تاكسي بالاضافة الى خيبته في ابنته .... بعيداً عن هذا التجني، تعتبر هيام رواية الارتجاج النفسي الذي يصيب المهاجر حين يصطدم بمجتمع تختلف قيمه وعاداته وتقاليده عما يؤمن به. وهي أيضاً دعوة للصفاء الروحي البكر، العودة الى الجذور، الى الايمان بالله الذي هو رب الشرق والغرب معاً.

تحكي الرواية قصة امرأة عربية مسلمة من اصل يمني/اردني متزوجة من مهندس فلسطيني يعمل سائق تاكسي في إحدى ضواحي ادلايد وابنتهما زينة التي تخرق قوانين ابويها وتقيم علاقة جنسية مع شخص غير مسلم خارج مؤسسة الزواج، الامر الذي يوصل والدها الى قمة إحباطاته فينتهي منتحراً، وبأمها الى الهيام على وجهها تقود سيارة تاكسي وتسير هاربة عابرة العمق الاسترالي في رحلة استكشاف للمكان والذات في آن معاً.

تبدأ سالييس روايتها متأثرة بالكثير من الادباء الاستراليين الذين رأوا في الطبيعة الاسترالية، صحراءها على وجه الخصوص، أرضاً رتيبة موحشة ومعادية: لقد خلعت نفسها من استراليا الاليفة الى الاخرى الممتدة الرتيبة... الابنية الكئيبة المبعثرة والاحصنة الداوية في الربوع الجرداء جعل المكان يبدو فارغاً اكثر من الفقر (٧) ص: 1. . تقود هيام سيارة التاكسي متجهة من جنوب استراليا الى شمالها مارة بوسطها الاحمر (كمثل ما كان من أمر هيام فوس باتريك وايت)، وفي الطريق تسترجع ذكريات تكشف فيها عن شخصيات مأزومة مهمشة في مجتمع يرفضها وترفضه. نتعرف مثلاً على شخصية مسعود، الذي ولد في المنفى بعد موت والده. هو لا يعرف وطنه ولم ير قريته يوماً، كان وطنه مجرد كتاب يقرأ، وكان مهندساً انحدر ليعمل سائق تاكسي وقهرته الحياة فهرب الى العزلة ومنها الى الخمره وبعدها الى القضاء على الذات. إنه رجل صنعته الخسارات.

ترسم الكاتبة صورة سلبية للفوج الاول من المهاجرين العرب: الرجال مهمشون وتخوض النساء صراع إثبات وجود في المجتمع الجديد وتحاول التعويض عن النقص الذي تشعر به تجاه الآخر بالمبالغة في التأنق والمبالغة في عرض الكرم والمهارة في صنع الاطعمة: وهن في اجتماعاتهن لا يتوقفن عن المقارنة بين نحن وهم، ففي مشهد الصباحية مثلًا، حيث تلتقي النسوة عادة حول فنجان القهوة، نرى هيام وجميله وفاطمة يتكلمن عن زواج ابراهيم بأسترالية وكأنه كارثة: مسكينة امه، بل هو المسكين، الاستراليات لا قلب ولا شفقة، سوف تبقى معه مدة تتجب منه العيال ثم تتركه وتهرب مع اول عابر سبيل. الاستراليون يشجعون بناتهم على الزنى..... الاستراليات لا يراعين ابناءهن... هن لا يتزوجن العربي إلا لماله او سلاحه أو فحولته الجنسية (22). صحيح ان الرواية تمتلئ بمثل هذه المشاهد التي تعرض انكماش العرب ورفضهم للاخر إلا أنها تعرض أيضاً لهذا الاخر المنغلق على العرب وعلى ثقافتهم ودينهم: هذا الانغلاق هو أكثر ما يعذب هيام، ولو انها أصلاً لا توافق زميلاتها الرأي، بل تشفق على الامهات الاستراليات وترى قسوة المجتمع الغربي على المرأة. وهي أيضاً حاولت ان تخترق الاخر وتنشء علاقات، ولكنها قوبلت بتلك النظرة المتعالية وربما العدوانية: كانت تزعجها تلك الافكار المسبقة لدى الاستراليين عن العرب والاسلام، فقد كانوا لا يصغون إذا ما قالت عكس ما يودون سماعه وكانت تعليقاتهم تؤلمها: ذات مرة سألتها أحدهم ما معنى ان تكوني امرأة في بلد مسلم فارتبكت وأحست أنه يخفي احتقاراً بسؤاله هذا وليس على استعداد أن يسمع عكس فكرته المسبقة عن الاسلام ونظرته للمرأة. حاولت عدة مرات أن تخرق هذا الحاجز حتى كان ذلك السؤال السمج، هل (قطعوك) ختنوك عندما كنت صغيرة؟ بعد هذا توقفت عن الكلام. وكان السبب الرئيسي في توقفها هو انها لم تصفع ذلك الوجه العطوف العطف في صفة تشفي الغليل... كانت في بعض الاحيان تتساءل لماذا لا يرغب بنا العالم؟ وكانت كلما تقدم بها العمر تبتعد اكثر واكثر عن والدها وتغرق اعماق واعماق في المنفى.... (29) هي لم تفهم ابدًا استراليا ولا الاستراليين، هي لم تعرف ابدًا ان هنالك امورا كثيرة خارج ذاتها وخارج عالمها وكان شينها مفرعاً ان تكون هذه الطريق موجودة هنا في المكان تنتظرها حتى تتعرف عليها. (66)

الوجه الاخر في الرواية هي زينة، ابنة هيام التي بدأت، منذ ان دخلت سن البفاعه، تنمرد على تقاليد وقيم والديها. بدأت برفض طعام امها، بارتداء ما يغيظ من الثياب و بانتقاد امها وطريقة عيشها الكئيبة الخالية من أي بهجة، وأمست محادثاتها كثيراً ما تنتهي الى صدام. هي دائماً منحازة وبحماس الى الثقافة الاخرى. نقاش دار بينهم حول البومة، الطائر الذي يرى فيه العرب نذير شؤم ويرى فيه الاستراليون رمزاً للحكمة: نقاش على بساطته إلا أنه يؤسس لقيام شرح بين الجيلين المتباعدين في الزمن وفي التربية الثقافية سوف يتسع الى ان يصل حد المأساة.

٧- في بلادنا عندما كنا نسمع نعيب بومة او نرى صورتها نستعوذ بالله.

- هذا يفسر امورا كثيرة يا ابي، انتم تخافون الحكمة فكأنها الموت

- وانتم تبحثون عن المصيبة وكأنها الحكمة ٧

تأخذ الطبيعة حيزا كبيرا في الرواية، ولعل هيام قامت برحلتها هذه بهدف قهر المكان عن طريق استكشافه، وهي في عبورها خلعت على المكان شخصيتها وتنفست عند هذا الشاطئ وفوق تلك التلة ذكرياتها المفرح منها والمؤلم، وهكذا تم التزاوج بين المكان والذات وتمت المصالحة بين المنفي والمنفى. من هنا كانت الرواية في عمقها الابدع رحلة في الذات الانسانية. في البحث عن معنى لهذه الحياة عن طريق اي طريق. وفيها تحاكم هيام ذاتها وتحاكم زوجها مسعود وتحاكم استراليا: ٧إنها غلطة استراليا بلد المغتصبين، القساء، المجرمين، المدمنين، الذين لا قيم أخلاقية عندهم، بلد العاهرات، الامهات المهملات . . أما مسعود فهو رجل الخسارت، السلبي الذي يتوقع يوماً إثر يوم على ذاته فيتناسها جسداً وروحاً ويلجأ الى الخمر ثم ينتحر ويتركها وحيدة. وهي تحاكم ذاتها لأنها ما سعت لفهم مسعود ومساعدته على تخطي ازمتة ولم تستطع تقبل الاختلاف في ابنتها زينة.

تحل الرواية عقدة هيام وخلصها من الضياع والغرق في اليأس والاحباط بالعودة الى الجذور، الى الايمان، ففي هذه العودة تصالح مع الذات من جهة وتصالح مع الواقع من جهة أخرى. فيها قبول للآخر من خلال الاعتراف برب واحد هو رب المشرق والمغرب، فهيام إذ يتراءى لها النبي محمد صلى الله عليه وسلم، فيما هي هائمة في الصحراء: ٧تجمدت في منطقة بين الخوف والفرح، لقد نظر اليها النبي الكريم محمد وقال:

- من انت؟

- أم زينه

دقق نظره وقال:

- من انت؟

ارتبكت وأجابت بلهجة مشككة

- انا زوجة مسعود شريف

حذق في عينيها بلطف

- من انت؟

- أنا ضائعة

- ليحفظك الله ويحميك يا هيام( ٧ 170)

بعدها بدأت مشاعر الضياع تتلاشى: استراليا امست خضراء وشاطئها امسى مؤنساً، عادت لها رغبة التواصل مع محيطها، من كلا الجانبين: الاسترالي والعربي وانتهت متصلة بعائلتها بمحسن اخ زوجها وبابنتها زينة وتمنت فجأة لو أن زينة مع ٧رودجر ٧ ثم انتهت رحلة عذابها على شواطئ داروين مرودة ٧بسم الله الرحمن الرحيم.... رب المشرقين ورب المغربيين. اي من عطايا ربك تستطيع ان تنكر ٧( 188)

بعيداً عن التصنيف الايديولوجي للرواية فهي قيمة ادبية عالية، استطاعت فيها الكاتبة ان تنقل لنا هم وقلق الانسان المنفي الذي يعيش عذاب الخسارات. صدق الرؤية، سلاسة السرد، الاشرار الكلي للمكان والحيوان، الاشتغال على الاسلوب، أمور تجعل من ٧هيام ٧ رواية جديدة بنيل جائزتين مهمتين .

مدينة اسود البحر ٧٨٧

يرى كثيرون في رواية سالييس الثانية ٧مدينة اسود البحر ٧ رواية الراهن، بمعنى انها وليدة المستجد وأنها أتت استجابة للحدث العالمي الكبير الحادي عشر من أيلول، ويغمز بعضهم الى أن الكاتبة استغللت صعود الاهتمام

بالثقافة العربية والاسلامية لدى الغرب وكتبت روايتها استجابة لهذا الصعود ٧9٧. إلا أن ماضي الكاتبة الادبي والاكاديمي ينفيان هذه التهمة ويؤكدان اهتمامها وحماسها للثقافة العربية والاسلامية بغض النظر عن الحدث وتفاعلاته. وإن كان لا بد من هدف وراء الرواية فهو محاكاة النمطية السائدة تجاه هذه الثقافة بكشف وجهها الحقيقي والتصدي للمعتقدات المسبقة المغلوطة التي تعم المجتمع الغربي. كما أنني، من ناحيتي، أرى فيها إدانة لاستراليا التي تفشل في تأمين الامان لمن فضلوها على اوطانهم الام ورأوا فيها ٧الحلم لجمبل٧. أو لعلها نفي للصحف الثقافي الذي يدعيه أو يؤمن به البعض، وإلا لماذا جعلت بطلتها تهرب الى ثقافة ودين وبيئة جديدة بحثاً عن ذاتها وللتصالح مع نفسها ومع أمها؟! . . . واستدراكاً أقول: لماذا لا تكون رحلة ليان رحلة في الاغتراب الانساني الذي كان ولا يزال السؤال الذي لا إجابة شافية عليه؟

تحكي الرواية قصة ٧ ليان Lian ٧ المولودة لأب أسترالي ابيض وأم مهاجرة فيتنامية. ولدت وترعرعت في جزيرة تابعة لولاية جنوب استراليا. تنمو ليان طفلة مرحة تحب الحياة والحب والسباحة وتتعلم من والدها الصياد كل ما تعرفه عن الحياة وتشعر أن علاقتها باسود البحر والمخلوقات الاخرى أنقى وأكثر متانة مما هي عليه مع بني البشر. وفي الرواية شخصية أخرى ، قد تبدو ثانوية، ولكنها أساسية في صنع الحدث، هي شخصية الام ٧في-فان Phi-Van٧: هي امرأة فيتنامية جاءت لاجئة الى استراليا في قارب ٧10٧ وقضت عمرها في انصام نفسي مرير ادى الى قيام علاقة عداء ورفض متبادلة بينها وبين ابنتها الوحيدة ليان. تخبر الرواية أن هذه الام هي الناجية الوحيدة من قارب كان يحمل مجموعة من اللاجئين الى استراليا، وأنها لم تستطع تخطي مأساتها تلك وعاشت كل عمرها مجمدة في خوفها ترفض الخروج منه والتأقلم مع محيطها، وليان من ناحيتها تصر على البقاء بعيدة عن عالم امها المأساوي وعندما تكبر تثور وتترك البيت لتذهب الى الجامعة. وهناك تتعلم اللغة العربية وتساfer بعدها الى اليمن. وفي صنعاء تتعرف على الثقافة العربية. اللافت للنظر ان صراع ليان مع مهجرها الجديد لم يكون قاسياً بل كان صراعاً ودياً. ورغم أنها انتقلت من بيئة ساحلية طيبة المناخ الى أخرى جافة وحارة مسكونة بالغبار، ومن فتاة ترتدي التنورة القصيرة او الشورت الذي يعري ساقيها وجزءاً غير قليل من فخذها الى اخرى تلبس العباءة السوداء التي تغطيها من قمة رأسها حتى أخصص قدميها، إلا أن هذا الانتقال من العادي الى المستهجن حدث بسرعة كمثل السرعة التي قررت فيها ليان ان تدرس اللغة العربية وترحل الى بيئة وثقافة جديدتين. وفي صنعاء تتخرط ليان بالمدينة وناسها وتقيم علاقات اجتماعية مع الكثير من ابنائها وتتعرف على مشاكلهم واهتماماتهم فتعلم، مثلاً، مدى الجهد الذي تبذله النساء في سعيهن للزواج والسعي لانجاحه واستمراريته. كما تتعرف على حماس الشباب للعلم والمعرفة ومدى إقبالهم على الثقافة الغربية. إلا أن أفضل ما حدث لها هناك كان اكتشافها لطاقة الحب الموجودة في ذاتها، الحب الذي أثمر جنينا قادما الى العالم بانتمائين وأحد الوالدين يعيش في بلد غريب، تماما كما كان أمر مجيئها الى الدنيا. وتنتهي عارفة لذاتها مكتشفة لحقيقتها، والاهم من هذا كله انه صار بمستطاعها فهم معاناة والدتها والتعامل معها بطريقة إيجابية

يعيب بعض القارئ على الرواية قفزها السريع في الزمن خصوصاً نقلة ليان من الطفولة الهانئة الى المراهقة المتوترة إذ تطل علينا طفلة سعيدة تنبئ بشخصية صاعدة واعية لذاتها ومعددة باستقلالياتها، وإذ بها، بعد فقرات قليلة، يافعة متمردة تترك الجزيرة الى المدينة لتلتحق بالجامعة ومن بعدها الى اليمن، كما يرى هذا البعض أن رواية ٧مدينة أسود البحر٧ تتألق من خلال تركيزها على الانا الذاتية ل٧ليان٧، فهي رغم كونها شخصية معددة وحائرة إلا أن الكاتبة أفردت لها مكانا كبيراً في الحدث وبالمقابل همشت الشخصيات الثانوية المساندة، فقد قدم لنا الاب نف Nev مثلاً، على انه شخص بسيط خير- رأس الهرم العائلي - في حين اشير الى عالم العذاب الذي تعيشه الام ٧في-فان٧ وكأنه سكتش مسرحي تتناثر تفاصيله هنا وهناك بين ثنايا النص ٧11٧.

رغم ان الرواية موزعة بقسط متساو بين الداخل والخارج، إلا أن انجذاب سالييس الى البحر يطغى في كثير من الاحيان ويوظف في باقة جميلة من الصور المجازية المبدعة. كذلك التزاوج المتناغم بين الماء والحدث : ٧ لقد انتظر ٧نف٧ صيده، وكان ان حمل له البحر زوجة من عالم آخر. هي هادئة تماماً، ولا تزال تعاني من ندوب خفيفة نتيجة بقائها خمسة أشهر على ظهر قارب مشرع للماء والشمس والرياح٧. وفي موقف آخر بدت ليان ذاتها وكأنها نتيجة ٧ للرسو الازرق على الشاطئ٧. . . في اندفاعه نحو الماء والدم٧. ولا ننسى ذلك الترصيع الذكي للقص بحكاية من الف ليلة وليلة، حكاية الصياد الذي دعتة عروس البحر الى زيارة الاعماق. إن سحر وغرابة هذه الاضافة، العيش في بلاد تحت الماء، لأبلغ رمز عما تعانيه ليان من قلق وغربة في رحلة بحثها عن الانتماء

كمثل ما هو معهود في أدب الرحلات، تقدم لنا √مدينة أسود البحر√، مسافرها مرهقاً تحبطه الصعوبات التي يلاقها في بيئة وثقافة غريبتين. إلا أن انشداد √ليان√ الى الثقافة الاسلامية يسهم في تذليل هذه الصعوبات، فهي مثلاً، نفرت في البدء من لباس المرأة الاسود الذي لا شكل له، ولكن بعدها √فهمت الميزة الايجابية في ارتدائه. إنه وسيلتها للاختفاء عن أعين الفضوليين. به تغوص تفرق في الحشد. لتكون حرةً . . . إنه سبيلها الى الحرية التي تمكنها أن تكون هي ذاتها دونما حاجة الى تبرير وجرح هذه الذات. وفي النهاية عندما تتمكن من تحقيق حريتها الشخصية تستطيع فهم معاناة امها √الرابضة تنمو بين ضلوعها√.

مهجر √12√

تخبر ساليس أن من تعينهم برواية √مهجر√ هم العرب الاستراليين لأي قطر عربي انتموا مع هامش اوسع للجالية اللبنانية لاعتبارها أقدم واكبر الجاليات العربية في استراليا

تتألف الرواية من خمس عشرة قصة قصيرة تتألف لتصنع رواية غير تقليدية يربطها ببعضها خط زمني رفيع وهي مقسمة الى ثلاثة أجزاء

يهتم الجزء الاول بوصف حالة المهاجرين الاوائل الى استراليا أولئك الذين أتوا في الستينات والسبعينات. معظمهم هارب من آتون الحرب الاهلية في لبنان. ويختلف المشهد عما عرفناه في هيام بأن شخصياته صادمة، ثابتة على حقها لا تتفجع ولا تنشد شفقة.

في القصة الاولى يذهب أربعة اصدقاء في رحلة الى مدينة في جنوب استراليا. تبهجم بادئ الامر الطرق المنظمة المعبدة على الطرز الحديثة الخالية من الحواجز ومن القناصين. الرحلة الجميلة تلك، لا يلبث أن ينغصها ظهور حيوان الكونغارو واعتراضه طريقهم، فقد تبين لهم فجأة ان هذا الرمز الاسترالي لا يقل خطورة عما خبروه في بلدهم الأم من قنص وحواجز. وعوض ان يتوتر الجميع أو يتركوه يفسد عليهم رحلتهم، تصدوا له وقامت زينة بضربه بعضا كرة المضرب حتى ابعده عن زوجها وارادته صريعاً. القصة على قصرها تبدو وكأنها اعتذار عما في √هيام√ من سلبية عاجزة، فالشخصية هنا فاعلة مستعدة للمواجهة وقادرة على اثبات الوجود والصمود والانتصار في البلد الجديد. وكون الاعتداء جرى من كانغارو دلالة على العدائية التي تستقبل فيها استراليا وافديها الجدد. إلا أن ساليس لا تدين ولا تحاكم. هي تعرض موقفاً يبدو عادياً نابعا من الحدث اليومي البسيط الممكن الحدوث في أي لحظة من لحظات الحياة.

في القصة الثانية مشكلة المرأة التي تحاول أن تتماهى بمجتمعها الجديد فتتخلى عن مظهرها الخارجي الذي يميزها كعربية وتتزيا بزي الاستراليات الغربيات (بنطلون جينز بدل الفستان الانيق وتسريحة شعر عادية ومكياج خفيف لا كحل فيه ولا طلاء شفاه ثقيل. إمعاناً في التماهي تشتري، على عادة الاستراليين، جريدة الصباح وإذ تفتحها متظاهرة بالقراءة، يلفت نظرها الراكب الجالس الى جانبها بقوله: أنت تقرئين الجريدة بالمقلوب. إلا ان طرافة القصة تكمن في إجابتها الجريئة الواثقة: √انظرت اليه للحظة ثم رمت راسها الى الوراء معتدلة في جلستها هازة جريدتها بثبات: انت إقرأ جريدتك بالطريقة التي تناسبك وأن أقرأ جريدتي بالطريقة التي تناسبني√ (13)

وان كانت قصة √موت فؤاد المؤجل√ حالة نفسية عامة سبق ورأينا مثيلاً لها في مختلف الاداب العالمية وعلى مدى الاجيال قديمها وحديثها، إلا أنها تبقى ذات خصوصية مميزة من حيث كونها حالة اغترابية تؤسس لعقدة انقسام وشرخ كبير بين المنفي وجذوره. (عروس يتوفى اخوها وهي في المهجر وتكتم العائلة خبر وفاته فلا تعلم بالحدث إلا بعد مرور ثلاث عشرة سنة على حدوثه. إنها الخسارة التي يمني بها الانسان في اغترابه، فقدان التواصل وعيش الزمن بالمقلوب. إذ بينما كانت هيفا تعيش حياتها الطبيعية وتلبس من الثياب أزهاها، كانت عائلتها تفرق في الحزن والسواد والحداد. واليوم، بعد ثلاث عشرة سنة، عندما علمت بموت فؤاد كان اوان الحزن قد ولى بالنسبة لهم فلم تجد من يشاركها فقدائها. كانوا هم في وادٍ وهي في وادٍ آخر. هي خسارة أخرى تضاف الى خسارات المنفى العديدة

في قصة الغزال تستخدم الكاتبة الحكاية الشعبية التي تدور حول الامير المسحور والجنية التي تقتصن من خصومها بانزال عقوبات قاسية عليهم. وربما التي كان والدها يشبهها بالغزال، تتمرد عندما تكبر، على هذه التسمية لما تعنيه في المتخيل الشعبي من صفات الدعة والطاعة والخنوع، ويعيش في لاوعياها غزال أخرى هي بطلة الاسطورة التي تتغلب على الاسد بدهائها وسرعتها في الجري والتي تتغلب على من أكلوا لحمها بجلب البلاء لهم. تغرم ربما بغزال الاسطورة وبما فيها من تفوق على السطوة البطريكية التي تقيد وتكبت وتعيق الحرية وتقرير المصير، إذ أن فيها يخسر الاسد امام الغزال وتنتصر الحكمة على القوة البدنية. وربما التي كانت غزالاً خانعة وهي طفلة تعمل ما لا تحب: تغسل الصحون ولا تتطلع من خلف النافذة وتمتنع عن الانطلاق بحرية بين الجنائن الخضراء في ضوء القمر، تمردت عندما كبرت ورفضت العريس الذي انتقوه لها. لا عناداً، بل لأنه ارادها كغزال المتخيل الشعبي. وعندما ذهبت الى الجامعة عاشت حريتها: أحبت محمود المسلم (هي مسيحية) ذا الشعر الطويل والذي يضع حلقة في أذنه. أحبت صوته وأنفه الدقيق. أحبت طريقته الصريحة الواضحة بقول الاشياء، احبت عالمه واصدقائه الاستراليين وعندما طلب أن يجامعها، سألته بماذا أذكرك؟ قال √ غزال قتلت أسداً ذات مرة √ وكان هذا كافياً: هكذا تبدأ قصص الغواية عادة. (48)

يلحق القسم الثاني من الرواية، المهاجرون بعد استقرارهم، فيلقي الضوء على المصاعب التي نشأت بعد ولادة الجيل الثاني في المهجر. ففي حين كان الصراع في الجزء الاول بين القادم ومحيطه (المكان والآخر) امسى الان صراع البيت الواحد √ صراع أجيال؟ ربما... وقد يكون أيضاً صراع ثقافات. ومنعا للأطالة ساكتفي بعرض واحدة من هذه القصص التي تعبر تعبيراً دقيقاً عن الفكرة التي تقف وراء هذا الجزء

#### إبتسام أربعة أبناء Ibtisam Had Four Sons

وهي تسلط الضوء على عائلة مؤلفة من أربعة صبيان وبنات. تمثل الام الركن الاساسي في العائلة وتسعى لسد اللحمة وتماسك عرى العائلة. يبدأ الامر منذ ولادة الابناء، فقد أصرت على أن يبدأ أسماء ابنائها كلهم بحرف السين: حتى عندما يكبرون يستطيع إي واحد ان يوقع عن الآخر، كما يجب أن يفعل الاخوة المحبون، وإذا، لا سمح الله، ارتكب احدهم جنحة ما سيصعب أمر اكتشاف الفاعل الحقيقي

كسابقاتها، تظهر هذه القصة الخدوش التي يحدثها المهجر والخسارات التي تطال الانسان المنفي – المهاجر. كما تبين الصراع القاسي الذي يخوضه الاهل لرأب هذه الخدوش وتقليص مدى الخسارات.

تشتغل الام على رأب الصدع الذي أحدثه الفارق الثقافي بين جيلي المهجر. فالابناء الذين تربوا في احضان الثقافة الجديدة لا يقفون منها موقفا عدائياً رافضاً كما هي الحال مع الاباء. وإبتسام إذ يفاجئها المد الذي جرف ابنائها تحاول درء خطره ولو بالكذب. فهي تكذب على صديقاتها بابقاء طلاق ابنها البكر سرا وتتكبر زواج ابنها الثاني من استرالية وتموه حقيقة ابنها اللوطي بالادعاء ان الذي كان معه في السيارة ليس عشيقه بل اخو كنتها:

√ رأيت سامي في مطعم مع استرالية شقراء

– ولو! . ما عرفتيها؟ هذه زوجته، صبغت شعرها

– رأيت سلمان في السيارة وكانت تلك ال √ كابتني √ معه

– تلك كانت كنتي اللطيفة زوجة سامي

– رأيت سعيد مع اصدقائه (تقصد اللواطين)

– هؤلاء اخوة زوجة سامي

(....)65

إلا أن الخسارة الكبرى التي يمني بها المهاجر هي القطيعة التي يمني بها عندما يدير الجيل الجديد ظهره للقديم ويرفضه رفضاً قاطعاً، مثلما كان الامر من √ نادين √ الابنة التي هربت وهي في السابعة عشرة مع صديقها √ دانيل √ ثم سافرت معه الى بروكسل، وعادت أبتسام للكذب مرة أخرى: ادعت ان البنات خجولة وتحبس نفسها في غرفتها تدرس. وعندما طال هروبها، ادعت انها حصلت على منحة وهي تدرس في الخارج. ونادين هذه، تصر على تبني القيم الجديدة التي اكتسبتها في استراليا رغم الاذى الذي يلحقها من جرائها. (رجعت بعد ان تركها دانيل وعلى خصرها طفل ووقفت لساعات أمام باب البيت قبل أن تتجرأ وتطرق الباب) فقد عادت حلقة الرأس، تضع حلقة في حاجبها ويغطي كتفها العاري وشما لرسم بيغاء، وقد رفضت رجاء امها بترك شعرها ينمو. بل أكثر من ذلك، فقد رجعت لتدين: نادين قالت انهم حبسوها عندما كانت يافعة ورموا المفتاح

بعيداً. نادين قالت انهم عطلوا دماغها واجبروها على لبس الفستان. نادين قالت انهم هم الذين تسببوا بانحراف سعيد الجنسي. نادين قالت انهم عاملوا كنائهم ديبورا وكاتي وصهرهم دانيال كالزبالة (تفليات) . . . نادين قالت ان ابتسام وسعد لا يحبان ابناءهما ولا يساعدانهم ولا يصغيان اليهم ولا يعترفونهم.(74) إلا ان الجيل القديم يتخطى الاساءة ويصر على التواصل. لذلك تقيم ابتسام حواراً مع ابنائها تستفز ذاكرتهم ليتذكروا امورا كانت فيها الى جانبهم والابناء بدورهم يستجيبون ويذكرون من الاحداث ما يطيب خاطر الام المخيبة بأمالها

٧- ماذا تتذكر من ايام طفولتك

- أنت وابي فعلتما اقصى ما يمكن فعله

- .....أريد شيئاً تتذكره. اخبرني عن حادثة من أيام الطفولة٧ (75)

ويروح الابن يسرد حوادث تتلج قلب الام المطعونة باموتها فيخفف عنها الالم الذي كان يكبر في صدرها من جراء اتهامات نادين. فتروح ترجو في سرها ان تتوقف انحرافات نادين على ما هو باداً فلا يكون هناك ما هو أخطر: ٧ماذا لو كانت نادين تدمن المخدرات؟!...٧

ابتسام الحائرة بين إرضاء جاليتها وكف ألسنتهم عن العبث بسيرة أسرتها وبين سعادة أبنائها، تنتهي منحازة لصف الابناء وتنتهي متراجعة عن تزمتهما، فقد تحركت عواطف الامومة في داخلها عندما علمت أن زوجة ابنها فقدت جنينها وذهبت الى المستشفى وواستها واعترفت بها وقالت: ٧طز بالجالية٧ . كما انها انتهت متعاطفة مع ابنها اللوطي سعيد ولو ان تعاطفها كان أقل حماسة مما كلن عليه تجاه الام الثكلى، فهي لم تعضب عندما قال لها ابنها أن ٧لورنزو٧ أعزّ أصدقائه، وأنه زاره وطبخ له الملوخية والتبولة التي يحبها، ولكنها علقّت: إخوتك هم فقط أعز أصدقاءك

يبحث القسم الثالث من الرواية في الراهن، يتعرض لموجات الهجرة واللجوء الاخيرة التي حصلت في القرن الواحد والعشرين، ويجري الحدث في معظمه في مناطق الاستيراد، إذا صح التعبير، اي البلدان الساخنة التي تعاني حروباً وصعوبات اقتصادية حادة وقمع حريات، ليكشف عن الظروف والضغوط التي أدت بالانسان العربي، العراقي والفلسطيني على وجه الخصوص، الى هذا اللجوء المهين والمحفوف بالمخاطر، والارتقاء على شواطئ بعيدة قاسية.

الطيران ، هي القصة الاولى، وهي فانتازيا بطلها طفلين يقوم خيالهما بصنع طائرة من بقايا قنبلة امريكية سقطت على احد بيوت الحي في بغداد: انتقل أكرم ليعيش في بيت يوسف بعد ان قضت القنبلة على عائلته وبيته. تحلق الطائرة فوق البيوت والاحياء وتشهد الابنية التي تصغر حتى تبدو كأسنان صغيرة في وسطها سن مفقود هو بيت أكرم. في رحلتها الثانية بطيران غرباً. يقطعان الحدود الاردنية. يصلان الى اسرائيل يريدان ان يقصفا شارون ولكنهما لا يعرفان مكان الكنيسة ولا مبنى الموساد. يعودان وقد اصبحا على قائمة المطلوبين الخطرين . تلاشت المادة المعدنية مع الزمن فصنعا الطائرة من عودين على شكل صليب. وفي المرة الثالثة كان لهما طائرة مرسومة فوق الرمال: رسم أكرم طائرة كبيرة فوق الرمال ونبهه يوسف ليضع هذا الزر هنا وذلك الودت هناك وان يتأكد من أن كل شيء في مكانه الصحيح. وخربش يوسف ٧مصنوعة في العراق٧ حفراً مقعدين، عبأ يوسف الخزان بالوقود وركض الى البيت لياتي بأخته فيما ظل أكرم يحرس الطائرة. كانت طائرة ممتازة لا ينقصها شيء. جديدة، خارجة لتوها من المصنع. دخلوها بحذر ٧باسم الله الرحمن الرحيم٧. قالوا بهدوء. حلقوا عالياً. لسنا بحاجة لقتابل هذه المرة. الى اين صرخت إيمان: الى أستراليا قال أكرم وامتأ صدره بالحبور وهو يراهما يفتحان فمهما دهشة وطاروا بعيداً

البحر

تروي قصة ٧البحر٧ معاناة الذين يقصدون الشواطئ الاسترالية في قوارب طلباً للجوء بعد ان ينسوا من الحصول عليه بالطرق الشرعية. ولعل لهذه القصة، الى جانب سمتها الابداعية، سمة أخرى هي مشاكسة صورة العربي البشع القاسي القلب الذي يوظف حياة ابنائه في معركة كسب شخصي دنيوي. اعني به الرد على التهم التي رمي بها لاجئو السفينة ٧تامبا٧ في أنهم يرمون ابناءهم في البحر استدرارا للشفقة، أو اتهام معتقلي فيلارود بإجبار اولادهم على إخطاة افواههم تضامناً مع المضربين عن الطعام من الكبار ٧13٧. تحكي القصة صراع عبدالرحمن الذي فقد زوجته وابنته عندما تعطل المركب الذي كانوا يستقلونه، وتصور صراع المرأتين وغرقهما بعد طول معاناة على مرأى من الاب والزوج. وتحكي عما يتعرض له اللاجئ في هروبه من معانات

وخسارات: صراعه في مواجهة جشع المهربين واصحاب المراكب وقسوة البحر وفضاظة المستقبلين على الشواطئ الاسترالية. ثم تحكي عن الشرخ النفسي الذي أصاب عبدالرحمن نتيجة للحدث، فهو بعدها فقد توازنه النفسي وامتأ بالريية والتوجس وسوء الظن. وقد عبرت قصة ٧ الحفلة ٧53، في موضع سابق من الرواية عن حالة عبدالرحمن هذه

## البقرات

قصة ٧ البقرات ٧ هي قصة الصراع الازلي والعبثي بين الضحية والجلاد، وتطرح تصورا باستحالة قضاء واحدهما على الاخر، بل هي تطرح تبادل الادوار، فجلاد اليوم قد يسمي ضحية والعكس صحيح. . . كعادة سالييس دائما فهي لا تحاكم ولا تدين ولا تتحاز ولكن بما ان صوت الراوي هو صوت الضحية فترانا متعاطفين معها رغم ما تكشف عنه الشخصية، من خلال النداعي، من أنّ ما فيها من خوف وقلق موجود قبل وجود الجلاد. وصراع الذات معهما قديم قدم الانسانية: بمعنى ان الخوف معضلة وجودية سواء وجد ما يحفزها أو لم يوجد: كنت أخاف من الضباع ومن الثعالب....كنت أخاف من البقر ايضا . . . كنت أخاف من الجبال....كان والدي يقول أنني أضعف رجل في العالم (142-146). ثم تكمل لتقول ان الطبيعة تداوي نفسها، بمعنى أنه عندما يستقل الخوف ينقلب الى ضده فيستأسد الضعيف ويجعل من الجلاد ضحية: لقد شعرت بالغضب على البيت الذي هدموه وعلى البقرات اللواتي قتلوها . ثم ان امي بدأت بالعويل وانا صرت ابكي ثم اصابني دوار وصرت أرمي على الجنود وعلى البلدوزر حجاراً ٧ كانوا اسوأ من الحيوانات، هم يريدون ارضنا وحياتنا وكرامتنا واحترامنا لذواتنا وشرفنا ولكنهم لن يستطيعوا سحق ارواحنا ولكنني أخاف على روعي....نحن نعلم انهم لا يزالون يفكرون بهذه الطريقة وعلينا ان ندافع ونضربهم بقسوة في كل مرة باقصى ما نستطيع

يجري القصة على خطين: خط الحدث التقليدي الذي يروي قصة جماعة اختبأت في الكهوف خوفا من غزاة أقوىاء وأخر يسرد ذكريات على طريقة النداعي. يقول الراوي انه كره ارجل العساكر وهي تطأ الارض امامه وكره ايضا ان يرمي الجندي عقب سيجارته على الارض فيتسبب بحريق يتلف الصنوبر فهو يخاف أن يقتلهم كلهم ولا يبقى احد ليحمي اشجار الصنوبر من الحرائق التي لا تعود بدأ كما كانت قبل الحريق. هنا ينتقل الراوي الى الذاكرة ويتذكر طفولته والحنكة التي تعلمها من الماعز: التحديق بثبات في عيني الضبع يجعله يخاف ويهرب. يعود الى واقعه، الى الكهف: كانوا يصطادوننا، يعدموننا . كنا عندهم مجرد كلاب، ديدان. التقفنا حول ذواتنا تفوقنا عميقاً داخل الكهف نساءً واطفالاً ورضع، اختنق الرضع، فقدنا كل الرضع في تلك الليلة، انقذت قريبتنا تلك الليلة ولكنها الان فارغة. البعض في الارجنئين، البعض الاخر في نيويورك . فقدان طفل أر مرعب اما قتل ولدك ، قتل والدك....

على هذه الشاكلة تسير القصة عارضة لجولات من الصراع المدمر والمشاهد العنيفة القاسية، ويروق لي أن أذكر ان العنف والقسوة ميزة لافتة في الكتابة المتخيلة الاسترالية، الى أن تنتهي معلنة:

٧ وعدونا بالامان وكان هذا ما قتلنا/ أخذوا الرجال والاولاد الى الجبال في احد ايام تموز/ عندما رأيناهم ثانية كانوا جبالا من العظام/جماجم كبيرة وصغيرة، وسلاميات اصابع/ مبعثرة مهملة/ الاخوة والاباء والابناء كلهم/ امتزجوا سوية لا يمكن تميزهم/ حروف مكسورة ولكنها تتكلم/ لغة خافتة اعلمق من كل اللغات/ أنا خائف يا أمي/ أنا خائف. (151)

ولا يخفى على القارئ، العربي على وجه الخصوص، علاقة هذه القصة بالانتفاضة الفلسطينية والرد على من يسمون العمليات الفلسطينية إرهاباً

## اسود

تنتهي سالييس روايتها بقصة ٧ أسود ٧. تحكي القصة، رحلة خيالية قام بها طفلان الى المدينة المثالية ٧ مدينة الاسود ٧ حيث تعيش الاسود مسالمة في مدينة قصورها من رخام، ويلهو اشبالها مع الاطفال فوق العشب. في الطريق الى المدينة الموعودة نعرف ان الطفلين هاربين من واقع أليم يسيطر عليه الخوف من الجنود والدبابات والغارات التي تقتل وتهدم البيوت وتتعبب الصبية الصغار الذين يرمونهم بالحجارة. في الطريق الى المدينة الحلم



يُواجه الطفلان بالعديد من الصعوبات ويصران على تخطينها، ولكنهما، في اللحظة الحاسمة، عندما يكاد ان يمسي الحلم حقيقة، يتراجعان، يختاران الالهل والقرية على المدينة الهائنة المثالية.

تكشف لوحات هذا الجزء قساوة البلد المستعار وتسائل شعارية √الحلم الاسترالي√ الذي يسعى خلفه كثير من أبناء العالم الثالث في هربهم مما تغرق فيه بلادهم من قمع وكبت حريات وضائقات اقتصادية. كما تكشف عن الخلل النفسي الذي يصيب المهاجر او اللاجئ، كمثل تلك الانفعالية والمبالغة في رد الفعل التي رأيناها من عبد الرحمن في الحفلة التي دعت اليها ابتسام حيث اساء الظن بالفتية المجتمعين على الشرفة، وهيء له أنهم يتأمرون عليه ، في حين كشف الواقع صورة مغايرة تماماً، فقد اندفع هؤلاء الفتية بحماس لمساعدته عندما سقط مغمياً عليه.

#### حريق حريق √14√

رغم أن رواية √حريق، حريق√ تدور كسابقاتها في فلك النفي والاغتراب ولكنها تختلف عنها بكون النفي فيها مفروض من داخل، بمعنى ان يلجأ المرء الى منفاه مختاراً، لا مرغماً تحت تأثير ضغوط خارجية، بل إيماناً بايدولوجية ما. كأن يكون النفي هدفاً لغاية سامية. والغاية هنا هي حماية العبقرية من الافساد. فأكانتيا(Acantia) (بطلة القصة) تؤمن أن المجتمع المدني في استراليا يفسد العبقرية والنبوغ، لذا فانه على النابغين من ابنائهم ان يبقوا على نقائهم بالابتعاد والعودة الى الحياة الطبيعية البكر، حياة البربرية.

تحكي الرواية قصة عائلة مؤلفة من أبوين وسبعة ابناء يتمتعون بمواهب عالية مختلفة: موسيقي، لغة، رياضيات وغيرها. لحماية هذه المواهب من الافساد تقرر الام (أكانتيا) إخراج عائلتها من مجتمع الحضر. يقود الاب (Pa) با وهو نابغة في الابداع الموسيقي ) قاطرة تحمل الام والابناء في قلب الريف بطريقة عشوائية الى ان ينتهوا الى بناء يتخذونه مسكناً لهم. البناء غريب نوعاً ما: قاعة كبيرة، مقسمة الى اربعة اقسام، نوافذها داخلية لا تطل على الخارج وغير مزودة بتمديدات صحية. كان يسكن هذا البيت المهجور رجل مفلس يدعى √انغوس باد√. اختفى ذات يوم في منطقة حرجية واسعة في التلال الواقعة قرب مدينة توفنبرغ Toggenberg ثم ما لبث ان مات منتحراً. وتوغنبرغ أرض هيبية نائية متخيلة يعيش فيها الكتاب والفلاسفة و الماركسيين والمبشرين غارقين في الاحراج حيث لا يمكن لاحد ان يجدهم. √فنسنست بكلي√ يعيش قريباً وكذلك √باتريك وايت√

تخطط أكانتيا لتربية ابنائها السبعة في بيئة مثالية يحكمها الابداع والاكتفاء الذاتي، وتصر على تذكيرهم بتفردهم ونبوغهم: √سوف تصبح مثل يهودي مينوهن، مادام كوري ولويس باستور√، فهي تربيه بين الموسيقى وحبوب الصويا والماعز والادوية الهندية وتتولى مسؤولية تعليمهم وتنقيفهم بنفسها وبذا يتأخر اتصالهم بالعالم الخارجي حتى سن المراهقة، ولكن الابناء، حتى وهم في عزلتهم هذه، كانوا يدركون بالغريزة ان مع تقوم به أهم خطأ وغير طبيعي وفي النهاية، يحارب كل واحد على طريقته ليتحرر من ربة تأثيرها الضاغط.

في البدء تسير الامور سيراً طبيعياً، يقوم افراد العائلة بالمهام اليومية من تنظيف وزراعة وعناية بالحيوانات وتمارين على الآلات الموسيقي بعفوية وطواعية، ولكن علاقة جذب ورفض تنشأ بين الابناء وأهم تزداد كلما تقدم الابناء في العمر. فنرى أن بعضهم ينغمس كلياً في عالمها المقلوب هذا ويسعى جاهداً لإرضائها فيما يبتعد آخرون ويختلقون أماكن سرية يختبئون فيها، وينشئون ممالكهم الخاصة مؤلفين رعاياها من حيوانات المزرعة. ولعل هذا الحرص على إرضاء الام هو من اكثر المشاهد المؤثرة، فالقارئ يمتلئ إشفافاً وهو يرى أورسلا تسعى جاهدة لكسب ذاك الرضى، فهي مثلاً عندما تسأل عما هو اكثر شيء تتمناه في الحياة، فعوض أن تندفع ابنة الاتني عشر عاما بتلقائية معلنة عن رغبتها باقتناء جواد، تتردد وتجتهد لتتخيل ما هو الشيء الذي يفرح والدتها اكثر من سواه

رغم كل الجهود المبذولة يبدأ الابناء بالتمرد واحداً تلو الاخر: الصبيان يريدون مزبل الرائحة وتلتهف البنات لزجاجات العطر. كل واحد يريد ثيابا داخلية نظيفة. تحاول أكانتيا أن تقمع هذه الميول بالسخرية منها حيناً والمساومة حيناً آخر وبالمنع اخيراً، ولكن هذه المحاولات، رغم صدقها وقساوتها، لم تستطع أن تبقي على تماسك العائلة. . . فهذا الابن الاكبر الذي يلتحق بالمدرسة عند سن الرابعة عشر يفشل في إقامة علاقات ودية مع أقرانه فينحرف ويكذب ويسرق ويمسي طريد العدالة، ثم لا يلبث ان يترك البيت يعد عراك قاسٍ مع والدته التي يفجعها عقوقه وما آلت اليه حالة ابنها الذي، حسب رأيها، اصيب بعدوى المدنية. وتترك البنات الكبرى √Beate√

بعد شجار، ثم لا تلبث ان ترحل مع عشيقها الى المانيا. حتى اورسلا التي تربطها بامها وشائج عاطفية عميقة وشعور قوي بالمسؤولية تجاه اخوتها الصغار، تعي عندما تصل سن الرشد عمق الحياة التي ارادتها لها امها وترحل ثم لا تلبث ان تنتزع اخوتها الصغار من أمها. تكبر معاناة العائلة يوماً إثر يوم وتشارك الطبيعة في إذكاء هذه المعاناة أو لعلها تشارك في تحرير الابناء من سجن مهم. ففي صبيحة أربعاء الرماد 15٧٧ يوم رحيل أورسلا، تندلع حرائق حرجية في التلال المجاورة وتمتد لتقضي على جزء كبير من البيت والمزروعات وحيوانات المزرعة التي هي جزء مهم من عائلة هوديني. وتنتهي أكانتيا وحيدة مع زوجها الموسيقي فيعبدان رسم حياتهما من جديد هو مع موسيقاه وهي مع رسوماتها. ولكن الابناء في ابتعادهم كل يحقق ذاته على طريقته تصبح ٧٧بيت٧ عازفة كمان شهيرة في المانيا، ويرع الابن الاكبر ٧غوت - هيف٧ في الكتابة الروائية وأورسلا تكمل تعليمها العالي. اما هوديني فيهجر الموسيقى ويعيش عاطلاً مستنداً في معاشه على مخصصات الضمان الاجتماعي ولكنه يبرع في علم الكمبيوتر. ولبو تحترف الصعلكة تعزف الغيتار في المحطات وعلى الارصفة وتمارس الدعارة في شوارع بودابست. . . بعد أن تدور الحياة دورتها وبعد مضي ما يزيد على قرن من الزمن على حريق أربعاء الرماد الشهير، تلتقي العائلة كلها في البيت الابوي باستثناء ٧غوت - هيف ٧Gotthilf٧ وبعد عتابات ومصارحات وإدانات ومسامحات بين أفرادها، تنتهي الرواية معلنة فشل نظرية أكانتيا فقد أمّنت أخيراً! ان الموهبة تفرض نفسها ولا تقوى القيود ولا الحواجز على كتبها: ٧إنه الخيال يا أورسلا! لا الحيطان ولا كل انواع العذاب يمكنها ان تقضي على الخيال .

الى جانب قصة آل هوديني هذه، هنالك أيضاً إشارات الى بعض الحكايات الخرافية، كما أن فيها رجوع الى البلد الام، المانيا، التي جاءت منه العائلة وعرض للاستيطان الالمانى في ولاية جنوب استراليا وتأثير شتول الازهار التي حملت من ذاك البلد على الريف الاسترالي. وذلك عن طريق ذكر التفاصيل وتسمية فصائل الاشجار الاوروبية التي كانت تحيط بالبيت. وتلفت الكاتبة ٧راشيل كونين٧ الانتباه الى رمزية حيوان الماعز في النص فنقول: إن تكرار ظهور العنزة في النص جعلني الجأ الى الكتب والى الانترنت لاجمع بعض المعلومات عن هذا الرمز وقد كان من بين الاشياء التي تعلمتها هو أن الماعز في علم الابراج رمز للشيطان ولخصوبة الرجل. وطبعاً للاله الوثني لما قبل المسيحية ديونوسوس. وأيضاً في علم التنجيم الذي يعتمد على فن ورق اللعب (الكوتشينا) فرواق الشيطان هي تلك التي تظهر رأس ماعز مكبل اليه رجل وامرأة ٧16٧

يقوم مناخ الرواية في جو قوطي ذكي، فهو ليس ميثولوجياً خرافياً على نمط ديزني، بل حكاية تتبع النمط الاوروبي الذي اتبعه الاخوة غريم في ألمانيا، تلك التي تقضح ما في الطبيعة البشرية من عنمة وشر. ليس هذا استنتاجاً فالكاتبة لفتت النظر اليه صراحة في المقطع الاخير من الرواية. إنها الاسطورة التي يسكنها اناس يمشون على خط دقيق بين الانساني والحيواني مع انحراف بين الحين والآخر صوب الحيواني ومن ثم الى الجانب البربري ٧17٧. مع ذلك فان الرواية، ككثير من سابقتها في الادب الاسترالي تظل تتراوح بين الممتع المسلي والتراجيدي كروايات باتريك وايت على وجه التحديد

يجري القصة في مناخ الستينات. وفيه مثالية يتطلب تحقيقها قسوة لا ترحم. لذا صورت أكانتيا كوحش ٧متريريكي٧ تجهد لصنع ابناءها على الشكل الذي يحقق رغبتها وأمانها بغض النظر عن ميولهم الشخصية. كانت عنيفة وقاسية في تطبيق نظامها هذا ففرضت أنواع الطعام واللباس والتعليم والتسلية وكانت مريبة غريبة الاطوار؛ ألا يثير الدهشة لجوء امرأة الى رسم صور للجبال الأوروبية فوق حيطان بيتها كي تعوض نقص النوافذ فيه؟ او ان تصر على ان يغني الابناء الاغنية الالمانية ٧Ehr Si Gott٧ بكل اجزائها قبل بدء تناول الطعام؟ لا يعني ذلك ان القصة في مجمله كان ثقيلاً ضاعطاً، بل إن فيه الكثير من المواقف المضحكة التي يلجأ اليها الابناء في تعاملهم مع واقعهم المعيش. بل إن أكانتيا ذاتها تطلق بين الحين والآخر تعليقات ساخرة فكهة كمثل ما كان من امرها عندما أخبرتها أورسلا انها رات ملاكاً، إذ تنهدت أكانتيا بعمق وازاحت ذراعي أورسلا من حول رقبته ونزلت عن الشجرة غصنا إثر غصن وقالت دون ان تلتفت الى أعلى: ٧أوه يا أورسلا. . لقد ذهب الملاك كأنه لم يكن ٧ (224)

تطرح الرواية السؤال القائل هل يمكن لحياة البربرية ان تصنع الانسان المتفوق ٧السوبرمان٧ ام ان الامر مجرد كشف لما نعانیه في تعاملنا مع انحرافاتنا النفسية؟ كما أنّ فيها مساءلة لطبيعة النبوغ ومدى الفائدة المحققة من تكريس الذات على مذبح الوحي. ترى هل اصابت أكانتيا وحققت هويتها وثقافتها بنفي نفسها وابنائها. هل ساهم هذا النفي صقل مواهبهم؟ مساءلات لا تجيب الرواية عنها بصراحة بل تترك امر التأويل مفتوحاً. إلا ان ما لا شك فيه هو ان استراليا خذلت أكانتيا كما خذلت هيام وليان من قبل، وفي حين لجأت هيام الى الله ولجأت

ليان الى ثقافة أخرى لجأت أكانتيا الى البربرية هرباً من استراليا المعاصرة السخيفة والفاضة. البيض فيها سخفاء و سطحيون، والمهاجرون الجدد رعاغ يثيرون الريبة: √أستراليا لا جذور لها ولا تاريخ. . . لذلك لا يوجد لديها فن ولا موسيقى ولا أدب ولا احداث. سخفاء، ضعاف، فاسدون. انظر كيف يتكلمون عن جلب الفيتناميين، أية ثقافة يمكن ان ننشئ بهؤلاء الهمج. تعددية ثقافية! . . ثم ماذا بعد؟ أية ثقافة؟ لا ثقافة واحدة عندهم فكيف بالعديد؟ تعددية ثقافية! هي بالاحرى وحلية ثقافية Malticulturalism more like Mud-culturalism (57)

مرة أخرى تسائل سالييس هذه الشعارية الوردية √ أستراليا بلد التسامح الاثني والقبول والمساواة √ ومرة أخرى تقول على لسان بطلتها أن استراليا تهين مبدعيها؛ فها هو شاعر استراليا الكبير √فُنْسِنْت بَكلِي √ يهجرها ويعيش غير مرأى في هذه الارض الهيبيية: √مسكين كان دائماً يريد أن يكون مثل وردثورث. تستطيع أن تصف استراليا ولكن لا تستطيع ان تكتب قصائد جميلة فيها √. أما √باتريك وايت √ فهو واحد من التعساء الذين حاولوا ان يصنعوا ثقافة هذه البلد ولكنه بيئس ولجأ الى أرض الهيبيين في توغنبرغ (مرة أخرى تلتقي سالييس مع وايت برويته السلبية حول الثقافة الاسترالية. راجع باتريك وايت في مكان سابق من البحث )

يرى ستيفن فاري √18 √ أن √حريق حريق √ خرافة سوداوية وصادمة، معدة باتقان و عرض مستفيض لتثبيت مقولة شائعة ترى ان محبة الابناء لأبويهم وشعورهم بالمسؤولية تجاههم ثابتة قوية لا تمحوها سوء المعاملة التي يتعرضون لها من قبلهم. ولعله رأى في شخصية √أورسلا √ النموذج القوي لهذه المقولة. لقد كانت اورسلا تؤمن بوالدتها إيماناً شديداً، ولم تترك البيت إلا بعد سن متأخرة وابتدت فيما هي تتركه اسفاً وإشفاقاً على والدتها. بل إنها وقفت، فيما بعد، وقفة محاسبة للذات عسيرة لمساهمتها في إبعاد اخوتها الصغار عن امهم، وهي الى ذلك ظلت تزور والديها في مناسباتي عيد الام وعيد الميلاد من كل عام

ويبقى أن نقول أن سالييس في روايتها هذه أكملت ما قالته سابقاً: ماذا يعني ان تكون لأستراليا في استراليا

كان ذاك الصباح صباح شؤم على أحمد، لقد أحيط بثلاثة جنود قساة. تمنى لو انه كذب وأعطاهم عنوانا مغلوطا، لكان فر هاربا، عند انكشاف الامر، عندما تفتح ام احدهم الباب وتكره. طرق الجندي القصير الباب وهو يجذبه بعنف من أذنه، وعندما فتحت أمه الطاقة الصغيرة، سأل عن عليّ. ماذا تريد من عليّ؟ سألت أم احمد بلهجة غاضبة جافة. عرف أحمد انها ستكون هي الراححة لو ان الامر ذهب الى أبعد.

– كان يعلم اخاه رمي الحجارة

– لا . هو لم يفعل

بل فعل. . . هذا الخرى الصغير قال ذلك، وقرص الجندي أذن احمد قائلا رح. نريد عليّ  
أراح الجندي القصير ببندقيته الـ أم فورآي ون لاقطة الأمان ورفس الباب فانفتح  
عندما وجدوا عليّا حطموا طاولة الطعام وتركوا محدثين جلبة. ماذا بإمكانهم أن يفعلوا؟ عليّ كان ابن خمس سنوات فقط وعيناه تشعان بشرر نار سوداء والى جانبه الكثير من الاوراق الراححة.  
منع احمد من الخروج من البيت. كان يعرف ان عليّا ليس المسؤول عما حدث له، ولكنه، وقد ملأه الامتعاض، راح يلوم اخيه ويشاكسه. نظر عليّ اليه من خلف رموشه الطويلة وتبعه منتظراً منه أن يفعل شيئاً ممتعاً وهذا ما زاد الامر تعقيداً.

عند المساء كان أحمد قد غفر لـ عليّ فعلته . أخذ أخاه بيده وطلعا الى السطح وشاهدا معا آثار الرصاص. أصغيا الى اصوات البنادق الاوتوماتيكية التي تطلقها طائرات الهليكوبتر. كان هنالك توهج غريب ينبعث من خلفهما ويتألق في السماء المظلمة. كانت سلسلة التلال ترخي بظلمها على الارض وأشجار الزيتون تقبع شاحبة. أشار أحمد الى البعيد.

- ياه، هناك، بعيداً، خلف التلال تقع مدينة الاسود. اكتسى وجه عليّ بفيض من النور الى درجة جعلت أحمد يؤمن أيما مطلقاً وفورياً بمدينة الاسود. نعم، مدينة الاسود. الاسود فيها منتشرة في كل مكان. وهي لا تأكل البشر. زفر علي وقال: دعنا نذهب الى هناك  
- ن... نعم. ربما. كلا. لو كنت أكبر لذهبنا، ولكنك مجرد طفل.  
تتهد أحمد تتهيدة من خاب امله خيبة صغيرة . كان يتمنى ان يذهب. ليهرب فقط. هي رحلة بدون شك، ولكنها رحلة تستحق العناء. قد يذهب لوحده.

ضبط عليّ انفاسه فيما هو ينزلق من فوق الحافة، وركز نظره المتوقد الحاد على أحمد. امتزجت أنفاسه بسيل من الكلام كان يضيع في خضم الضجيج المنبعث من بنادق اوتوماتيكية كانت تطلقها طائرة هليكوبتر تندفع مجلجلة من خلف التلال مسلطة أضواءها حول البيوت. تجاهل الولدان الامر، وظلا واقفين فوق السطح، وجها لوجه

انت ، صرخ أحمد، انت قد تتعب وسأضطر أن أحملك، وعندها سأتعب انا، وعندها لن نستطيع الوصول الى هناك. هي طريق طويلة طويلة . قد نموت.

– سأجلب طعام وماء لي ولك

وراح احمد يتصور ما سيكون. وقفة قصيرة تعيد النشاط، استراحة تحت شجرة، زعتر وتمر وقمرالدين. نحن بحاجة الى قمر الدين (جلد الفرس)

احنى عليّ رأسه انحناءة من يقول: أن تصغي معناه أنك موافق. وكانت فترة صمت.

ولكن بابا سيفتلتنا [يضر بنا بقسوة]، قال أحمد فجأة.

علينا ان نسير على تلك الطريق، ولوَح باتجاه الحقول الواقعة عند اقدام التلال والتي يمنع عليهم دخولها. عندما فجر صبري جراح نفسه أمطرت قطع من جسده فوق القرية. كان عليّ، الذي يلاحظ الاشياء، دائما يقول: أن كل علامة صدأ هي تآكل سببته بقع من دم صبري الذي تتأثر في المكان. ماما ظلت تولول وتبكي كل الوقت

ولكن الاسود لا تأكل البشر. تساءل عليّ: إنها مدينة آمنة تماماً. أليس كذلك؟

أووه، آمنة تماماً. هم بالتأكيد لا يمانعون ذهابنا الى هناك، المسألة هي فقط في الوصول

تتهد عليّ وقال حالماً. √ أخبرني أكثر عن مدينة الاسود √  
√ تعيش الاسود في قصور من رخام وحجارة بلون الذهب. يوجد أشجار، وينابيع وأسود صغيرة تلعب فوق  
الحشائش الخضراء. √ اضطلع الولدان فوق السطح يحدقان بالنجوم، الليلة اشد ظلاماً من المعتاد. √ في مدينة  
الاسود يوجد √ حرانين √ في كل مكان. وكرز  
- √ كرز √؟

أيوه ، كرز على الشجر، في كل مكان. الاسود لا تأكل الكرز. يتركوهم للزوار (حذفت النون مراعاة للغة التي يتكلم فيها  
الطفل)

جلس عليّ وحقق في وجه أخيه

√ كيف عرفت عنها كل هذا ؟ من أخبرك يا أحمد؟ من يا أحمد √؟

√ انا ذهبت الى هناك. لذلك أنا أعرف الطريق. √ قال أحمد مقاطعاً. لماذا تسأل أسئلة سخيفة؟  
وكان صمت

حصلت على حبوب كرز. قال أحمد فجأة، ووضع حصاة صغيرة في يد عليّ.

√ اسنذهب معاً. √ قال عليّ بصوت فيه تصميم وعزم. عند الساعة الخامسة صباحاً [نمشي]. نقضي ساعة هناك  
ونعود.

في الساعة الثالثة اخترقت قذيفة، اطلقت من طائرة هوليكبتر، البيت وأحدثت فيه فجوة ودمرت الحائط الخلفي  
المقابل للتلّة وصورة جدو وحطمت ما تبقى من طاولة الطعام التي كسرها الجنود من قبل. بنبرة فظة متوترة  
أيقظ الاب والام عليّ وأحمد. ولولت أمهما بغضب. لفا ببطانية وحملتا معاً وكان رأسيهما الأشعثين يتدلّيان  
مترقصين. شيئاً فشيئاً هرب النعاس من أعينهما. هرع الجميع الى الطبقة السفلية حيث تجمع بعض الجيران.  
كانت ذراع احد الرجال تنزف دماً. لقد بقي البيت صامداً إلا أن بيت آل √ حمدي √ الذي يقع عند المنحدر، أعلى  
منهم بقليل الى الشمال، لم يحالفه الحظ، وبهدير، شبهه أحمد بصوت شلال، تداعى البيت المقصوف وتدرج  
قطعاً قطعاً الى المنحدر. هرع الكبار كلهم لانقاذ الحيوانات وانقاذ ما يمكن انقاذه وبقيت العمّة نهاد في الطابق  
السفلي ترعى الاولاد السبعة الصغار. وعندما حاول أحمد ان يسألها شيئاً صفعته باقصى قوة √ لا. ما في طلعة  
لبره √. صعق أحمد. فهي حتى لم تنتظر لتسمع ما سيقول، رغم انه كان ينوي أن يسأل إذا كان بإمكانه الخروج.  
قطب حاجبيه وتحسس خده المصفوع. سقط √ عليّ √ نائماً ملتقاً على ذاته ككلب صغير. جلس أحمد الى جانبه  
وجهد ليعلم ما يجري في الطبقة العليا.

غفا أحمد حائراً لأمر امرأة تصرخ وتبكي.

كان الظلام لا يزال مخيماً عندما استفاق على وخزة، [وخزه إياها] عليّ، في ذراعه.

√ يلا، لنذهب √

تطلع أحمد حوله. كان الاطفال نياماً والعمّة نهاد قد ذهبت. وقف أخوه الصغير امامه. كان يتدلى من فوق رقبته  
حبله ربط الى طرفيها قارورتان، كانتا قبلاً محتوى لعصير البرتقال، ممتلئتان حتى نصفهما ماء. وكان يحمل  
فوق ظهره حقيبة صغيرة منتفخة. كانت عينا √ عليّ √ تفيضان حبوراً وعزماً ولم تؤثر به اعتراضات أحمد. هو  
يعرف الطريق. هما يستطيعان الذهاب وإن حرصا وانتبهتا يستطيعان تجنب الخطر. تعقّب انعكاس خيال عليّ  
الصغير وهو يخطو بثبات خارج القبو (البدروم) قطعاً الدرجات الموصلة الى الفلاء، تطلعا حولهما. فباستثناء  
بيت آل حمدي المنهار والفجوتين اللتين احدثهما الانفجار في بيتهما، فقد بدا كل شيء شبه طبيعي. كان الناس  
يتحلقون في تجمعات متفرقة هنا وهناك، وكان أحمد يدرك انه عليهما الاسراع كي لا يراهما احد. لقد امتلأ فجأة  
بالحماسة.

√ من هنا √ قال أحمد، وامسك بيد √ عليّ √ وأحنى ظهره محاذياً البيوت، مختبئاً بظلها. سارا باتجاه الحقول  
الخصبة العذراء وعبرا بيارات الزيتون الكثيفة المنسية

√ ما دمت قد جيئت الى هنا من قبل فانت إذا القائد √. همس √ عليّ √ عندما وصلا الى المزارع المهملة  
[المشاع]. أنا سأفعل مثلك تماماً سأضع رجلي حيث تضع انت رجلك بالتمام وهكذا لا نقع بالالغام.

هز أحمد رأسه حالماً، ودون أدنى تردد خطا في حقل الالغام. كانت الشمس مشرقة من خلفهما ولو ان احداً تطلع  
في تلك اللحظة الى تلك الناحية، لكان كشف بكل سهولة ذلك العبور المستغرب. إتبع أحمد طريقاً وعره متعرجة  
فكأنه كان يفكر ويوائم ويعدها يختار الخطوة المناسبة. أتكون خطوة صغيرة أم كبيرة؟ أتكون واسعة مستقيمة الى  
الشمال أم الى اليمين؟ كان في بعض الاحيان يتأني كأنما هو يتذكر ثم يخطو واثقاً مقتنعاً أنه حقيقة يعرف  
الطريق. بدت خطوات عليّ الاولى قلقه ولكنه ما لبثت بسرعة ان بدأ يتحرك باطمئنان واثقاً من كل خطوة  
يخطوها. لم تساور عليّ شكوكاً من أي نوع. لقد وصلا الجانب الاخر. نقطة البداية لعبور التلة. ابتهج أحمد  
بنجاحه وراح يغذ الخطي فرحاً متسلقاً التلة للاحية الغرب.

- أخبرني كيف هي الحال في مدينة الاسود؟  
- هناك، تسمع موسيقى جميلة تنبعث من ساحات لا ترى. الحدائق العامة تمتلئ بكل انواع الطيور. طيور اليفة جدا، لأن ما من احد اعتدى عليها ابداً. قد يقف بلبل على كتفك، يطير ويعود ليغني لك. والاسود تصخب في كل مكان، تزار في المنعطفات هنا وهناك  
- أنا رايت أسداً حجرياً  
- يوجد أيضاً اسود حجرية في مدينة الاسود، ولكنها أفضل من أي أسود أخرى في العالم. تجدها على البوابات وفي الحدائق وهي تبدو وكأنها حقيقية سوى انها رمادية  
- ولكنك قلت أن الحجارة ذهبية  
- صح، هي ذهبية ولكن ليس ذلك النوع الذي يصنع منه الاسود. الرخام لا يمكن أن يكون ذهبياً يا غبي.  
- ولكن قصور الرخام. . .  
- هي رخام من الداخل

مرًا بقرب عظام مبيضة لابن أوى كانت مطروحة بين العشب النامي في أعلى التلة حيث تتلاعب الريح بالاعشاب الجافة ويسمع لها أنين. لم تكن مدينة الاسود على مرأى منهما، فقد كانت هذه أول تلة يصلان إليها. على مرمى نظرهما كانت تمتد الوديان الصخرية التي يغطيها ضباب الصباح ومن بعدها مزيد من التلال. توجه أحمد شمالاً كي يواكب انعطافة التلة بدل أن يغوص في عمق الوادي.

عد أحمد ثلاث تلال وكان لا يزال أمامها ان يعبر تلة أخرى . خطا عليّ خطوات عنيدة واحنى رأسه. استدار أحمد وأخذ حمالة قارورتي الماء من رقبته [عليّ] ووضعها فوق رقبته. لم يهتم عليّ للامر، واستمر متابعاً طريقه ببطء مصعداً في التلة الصخرية. من تحتها كانت قطعان من النعاج والماعز تختلط بالصخور ولا أثر للرعيان. لا بد انهم هناك مختبئين في مكان ظليل يحتمون من اشعة الشمس. بعيداً، في أسفل التلة كانت تنتشر مجموعات من الجنود يبحثون عن شيء ما. تمنى أحمد لو يكون هو وعليّ مخلوقات غير مرئية، مخبوءة بين الصخور وتدرجات التلة المكشوفة للعيان. ضربت الشمس رأسيهما العاريين ولاحظ أحمد فيما هو يتطلع الى الوراء، العرق يلعب فوق رقبة عليّ. زاد من سرعته وأخذ الحقيبة من فوق ظهر عليّ ثم عاود سيره كالمعتاد .  
قف فوق التلة ( قال )

توقف عليّ في الحال وتأرجح قليلاً وبدت رجلاه تهتران. فجأة جلس وبدأ يبكي. رفعه أحمد وحاول ان يقوي من عزيمته ولكنه هو نفسه كان تعباً.

عليّ أية حال إنه وقت الغداء  
قال أحمد وجلس الى جانبه. لم يستطع ان يتكهن الوقت الذي آل إليه النهار. فالشمس ثابتة فوقهما منذ مدة طويلة. رفع عليّ نظره اليه وابتسم فيما كانت الدموع تنحدر على خديه.  
كل شياً من جلد الفرس(قمر الدين) ! همس وراح يتحسس الحقيبة فوق ظهره.  
في الحقيبة كان يوجد صندوقاً جديداً من جلد المشمش، رغيفان من الخبز، قطعة كبيرة من الجبنة وطابة حمراء ما هذه ؟ سأل أحمد ممسكاً الطابة

- هدية لاطفال الاسود ليلعبوا بها فوق العشب. لا يصح ان نزورهم من غير ان نجلب لهم هدية  
- والله معك حق  
مزق أحمد بعضاً من جلد المشمش واعطى بقية اللفة الى عليّ. مزق عليّ جلد المشمش بصمت. ثم فجأة هدر وقهقهة وبتش قطعاً دفعها الى حلقه مبققاً . وصنع أحمد الشيء ذاته حتى انتهيا منبطحين على بطنيهما، يعملان نهشاً بضحيتهما رغيف المشمش.  
- وهل تتكلم الاسود؟

- لا ، لا لزوم لكلامها. هي فقط تنظر اليك بذكاء وانت تستطيع أن تربت عليها . وربت أحمد ظهر عليّ ربتات طويلة كربتات أسد، تقلصت لها عضلات عليّ  
آه! فهمت  
قال. ودلت نبرة صوته وتعابيره على انه فعلاً فهم.  
أحس أحمد نفسه مُهْملاً فأخذ قارورتي الماء وبدأ يفرغ الماء من واحدة الى اخرى. ثم أضطجع الاخوان أرضاً وحدقا، لبرهة، في السماء.

بدأت الشمس تتحرك ثانية فنهض عليّ . هيا . لن نصل اذا لم نواصل السير .

عاودا سيرهما كالمعتاد وسرح كل منهما في أفكار تخصه وحده. حرصهما الصمت وحرارة الجو في تلك الظهيرة على الشرب عدة مرات فبدأ الماء ينقص شيئاً فشيئاً. باستطاعة احمد ان يتابع الرحلة لو أن عليّ يستطيع ذلك. فقط لو ان عليّ يتوقف عن طرح الاسئلة. بدأ يفكر بالمتاعب التي سيواجهها بأخذه عليّ الى الحقول

المحرّمة، كم من المتاعب سيواجه في اصطحاب عليّ الى قمة التلة. كم سيواجه من المتاعب باصطحاب عليّ الى سلسلة التلال التي لا تنتهي في البحث عن المدينة الموعودة. ضربته موجة من الفزع ولكنه كتمها. مدن الاسود يجب ان تكون شيئاً حقيقياً. لقد قرأ في عيني عليّ أنها أكثر المدن حقيقة موعودة وأشدّها اعتباراً. حدق في حذاء عليّ المغبر وحاول ان يبعد عن رأسه فكرة اي الاتجاهين يسلك : المدينة او البيت!. ركز فقط على خطوات عليّ الرتيبة التي كانت تضرب مصعدة في مرتفع يرخي فوقهما ظلاً عميقاً. كانت هنالك دبابه مهجورة مطروحة في ذلك الظل وكان مدفعها موضوعا بين الاعشاب والصخور دون ان يصوب الى شيء معين. شمّاً رائحة شيء ميت تنبعث عن قرب، امسك عليّ أنفه وحث خطاه صعوداً. وكان احمد يتبعه.

عندما وصلا الى قمة التلة الاخيرة، كان المساء قد داهمهما. لقد استعانا بايديهما [فمشيا على أربعة] حتى وصلا الى القمة. همست الريح في آذنيهما، محدثة خشخشة ناعمة نتيجة احتكاك الصخور الذهبية بأكوام العشب ولاعبت شعرهما الخشن المبلل بالعرق. ثم أخذت الارض بالانحدار في منزلق أجرد امتد وامتد حتى انتهى الى سهل واسع بعيد المدى. وقف الولدان متجمدين صامتين يحدقان باتجاه المدينة المتألثة. كان المحيط الممتد حتى الافق صفحة ذهبية، وكانت منائر المدينة وقبابها وابراجها تزهو لامعة بظلال من الذهب والازرق الداكن. الزجاج البعيد والمسطحات العاكسة كالمرايا بدت وكأنها رجرات ضوء سائل. حتى أشجار المنتزهات البعيدة البرتقالية كانت على مرمى البصر. كم كان الهواء نقياً!

تنهيدة عميقة خرجت من صدر عليّ كأنما يود ان يدخل أكبر قدر ممكن من الهواء الى رئتيه. ها هي ، قال أحمد، وخفق قلبه في صدره بعنف. ها هي هناك. أكثر جمالاً مما تصور، أعظم وأكبر. لقد علم ذلك منذ البداية. . . شعر يد عليّ في يده تجره الى الورا  
علينا أن نذهب، قال علي، لقد تأخرنا، لا نستطيع أن نكمل، سيقلقون علينا.

هو امش

- 1- <http://www.evasallis.com/code/bio.html>
- 2- <http://www.evasallis.com/PDF/Hurriyat15.pdf>
- 40 (عباس الزين، معنى السلطة وسلطة المعنى، ما لم تبج به شهرزاد، حريات، ص: ص: <http://www.evasallis.com/PDF/Hurriyat15.pdf>)
- 5- <http://www.evasallis.com/code/bio.html>
- 6- Eva Sallis, Hiam, Bolinda Press, Melbourne, Australia, 1999 [1998]
- 7- <http://www.evasallis.com/code/arabicreviews.html> إيفا ساليس لـ حريات، ص: 43
- 8- The City of Sealions Allen&Unwin, 2002
- 9- Sallis's Sea of Migrant Metaphor, Thuy On, ABR, March 2002, p 49
- 10- (يقصد كثير من بلدان العالم الثالث الشواطئ الاسترالية قصد اللجوء فتنقلهم قوارب عرض المحيط وترمي بهم على السواحل الاسترالية وهي طريقة من طرق الالتفاف على قوانين وإجراءات الهجرة الشرعية المعقدة)
- 11- Sallis's Sea of Migrant Metaphor, Thuy On, ABR, March 2002, p 49 مصدر سابق
- 12- Eva Sallis, Mahjar, allen & Unwin, 2003, Crows Nest, Australia
- 13- اقتربت اوائل عام 2002 السفينة تامبا التي كانت تحمل 450 لاجئاً غير شرعي الى الشواطئ الاسترالية فرفضت الجهات المختصة دخولها المياه الاسترالية ووجه الركاب نداءات استغاثة لأن سفينتهم كانت تغرق ولكن السلطات الاسترالية ظلت على تشبثها فكان ان غرقت السفينة ومات معظم ركبها (حوالي 350 شخصاً) على مرأى ومسمع العالم. ثم قامت حملات تشهير من بعض المسؤولين تتهم الاهل برمي ابنائهم في البحر استدراراً للشفقة. وقد اظهرت التحقيقات فيما بعد كذب هذه الادعاءات.
- 14- Eva Sallis, Fire Fire, Allen&Unwin, 2004
- 15- (هي أول أيام الصيام عند المسيحيين وقد سميت بهذا الاسم لان من شعائرها ان يدهن المؤمنون رؤسهم بالرماد كي يتذكروا ان الانسان من تراب والى التراب يعود، وتقام في هذا اليوم احتفالات وكرنفالات كان ان تسبب إحداها بالحريق الذي أصاب موطن عائلة هوديني)
- 16- Stoking the flames in a hippy hinterland, Rachel Cunneen, Camberra times, Saturday 24/7/2004, Panorama, p3
- 17- Macabre and grotesque in a fascinating way", Glinda Guest" August 2004
- 18- Steven Farry, Trouble smouldering with fire in the family, Courier Mail 17/7/0
- 19- Eva Sallis, Mahjar, Allen & Unwin, 2003, Crows Nest, AustraliaP: 152-164 translated byNejmeh Khalil-Habib

